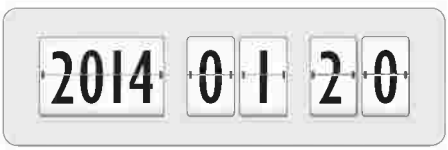

مع بلوغ تشلسي الخامسة عشرة من العمر وتطورها إلى عروسة مشرقة مجسدة للفرح، قمنا برحلتنا المطولة الأولى في الخارج وحدنا من دون الرئيس، كان الأخير قد طلب إليَّ أن أقوم بزيارة اثني عشر يومًا رسمية لجنوب آسيا؛ لأنه أراد أن يشرف على تنمية علاقات جيدة مع الهند بعد سياسة الهنود القائمة منذ أربعين سنة على عدم الانحياز للولايات المتحدة، وتوثيق الروابط مع روسيا على امتداد حقبة الحرب الباردة. وزارة الخارجية وافقت على زيارتنا، إذ عدَّتها طريقة لتسليط الضوء على التزام الإدارة بالمنطقة، وأنا أردت توسيع نطاق حملتي الصليبية الفاعلة ومدها إلى حقوق المرأة.

كانت الرحلة متعة، نعمة خاصة، بالنسبة إلينا، تشلسي وأنا كلتينا؛ دُهشت لرؤية هذا الجزء الجديد من العالم، وأنا واثقة من أن رؤية العالم الجديد بعينيها الشابتين النضرتين كانت ستضاعف من فرحتي؛ عيناي أنا كانتا قد تعبتا بعد أعوام من متابعة السياسة الواشنطنية. حطت طائرتنا في إسلام آباد الباكستانية بعد رحلة جوية دامت سبع عشرة ساعة.

كما تعلمين لم يسبق لنا قط؛ الصحافة وأنا، أن كنا صديقتين حميمتين، فوجئت بأن ذلك تغير قليلًا في أثناء رحلتنا، مثل جاكي كندي وولديها كنت على

الدوام قد حاولت حماية تشلسي من النشر والأضواء الإعلامية؛ للحفاظ قدر الإمكان على حياتها الطبيعية، كل ما كان يحدث على الطائرة وفي الفنادق كان محظورًا دائمًا عليها، مثل كل شيء تفعله أو تقوله وحدها، أما في الهند فقد كان إبقاء تشلسي بمنأى عن وسائل الإعلام أمرًا بالغ الصعوبة، تقاسمنا العديد من اللحظات نفسها؛ ولائم العشاء الحكومية، وزيارات الأمكنة التاريخية المهمة، ولقاءات النجوم والمشاهير.

للمرة الأولى في حياة تشلسي، كانت الصحافة قادرة على رؤية تشلسي عن كثب، وقد أثارت إعجابها الشديد بطلّتها وجرأتها إضافة إلى كونها ذات شخصية خاصة جدًّا، تابعها الإعلاميون وهي تزور بلطف رضعًا يعانون نقص التغذية، رضعًا بالغي الهشاشة جافلين من أقل لمسة، رأوها آنسة واثقة بنفسها، متأنقة تتناول وجبة العشاء مع رئيس الوزراء، سجلوا أسئلتها البارعة وتعليقاتها الرؤيوية النافذة.

مراسلون كُثر توسلوا راجينها أن تسمح لهم باقتباس كلامها، أخيرًا لدى زيارة تاج محل، تعين علي أن أذعن؛ تعليقها كان مفعمًا بالحكمة فرأيت تمكين العالم من سماعه لازمًا، قالت وردد الصحفيون ما قالته: «في صغري كان هذا التجسيد الحي لقصور الأساطير الخيالية بالنسبة إلي، كنت أرى صور تاج محل ثم أنام فأحلم بأنني أميرة، والآن وأنا هنا فإن المكان مدهش جدًّا كما كنت قد حلمت به تمامًا».

وهل كنت قادرة على منع العالم من الوقوف على مدى روعة تشلسي؟

أدركتُ بدقة ما عنتْه. حتى اليوم أظل أتباهى بإطراء أولادي على مسامع كل من أستطيع حشره في الزاوية.